هكذا كتب لوقا فى إنجيله : آدم بن الله ! (لوقا ٣:٢٨) وقوفاً بعمود نسب المسيح عند آدم لا يتجاوزه إلى الله عز وجل ، الذى لم يلد آدم بالطبع وإنما صنعه " بيديه " كما تنص التوراة . ومن قبل قال كتبة التوراة " أبناء الله " (تكوين ٦ : ١ و ٤) . وهذا كله لا يُؤْخَذ على أصله وإنما يُؤْخَذ بمجازه المقصود منه فى اللغات السامية ومنها الآرامية والعبرية ، ولم يَفْطِن إليه فى " مجمع نيقية " بطاركَةُ يونانيو الفكرِ واللسان : الأبُ مَجازٌ على الأصل والمنشأ ، أى الله المُبدِع الفاطر البارىء ، والابن مَجازٌ على النسب إلى الصانع "البانى" مصداقُ هـذا (راجع المعجم التحليلى العبرى ـ الآرامى المذكور فى حواشى هذا الكتاب) أن لفظة "بِنْ " العبرية ـ الآرامية منحوتة على المفعولية من جذر الفعل العبرى ـ الآرامى " بَنَا " (وهى بَنَى / يَبْنِى العربية)، ولكنك لا تهدى من أحببت !

أما أن " الآب " ، " الأب " ، معناها " الرب " فى الآرامية والعبرية ، فدليلُكَ الدامغُ فيه باختصار ـ وقطعاً للطريق على من قد يتعجَّلُون فيتورطون فى نقد مقولاتنا اللغوية فى هذا الكتاب ـ هو ذلك العَلَمُ العبرانىُّ " أبِيَّاهُو " بن رِحُبْعام بن سليمان بن داود ، الذى سبق مولدُهُ مولدَ المسيح بسبعة قرونٍ على الأقل ، وهو اسمٌ مركَّبٌ من شقَّيْن " أبِى + يهْوَا " (يهْوَا هو اسمُ الله فى العبرية من بعد موسى كما مر بك) ، لا يَصِحُّ أن تتصوَّرَ ولو للحظة أن معنى الاسم الذى سماه به رِحُبْعام بن سليمان ابن داودَ هو " اللهُ أبِى " أعنى أبِى الذى ولَدنى ، إذن لذَبحه اليهودُ فورَ هذه التسمية على مَرْأىً من أبيه ، إن لم يذبحوا أباهُ معه ، وإنما فهم اليهود وأرادَ رِحُبْعام الأبُ بمعنى الربِّ فى مُصْطَلَحِهم ، فالمعنى هو " اللهُ رَبِّى " ، لا " اللهُ والدى " كما يفهمها علماءُ أهل الكتاب الذين لا يفقهون مجاز الساميات (١) .

---

(١) انظر المعجم العبرى الآرامى لألفاظ التوراة ، المرجع المذكور ، ص ١ .

أما الدليل الثانى فهو قولُ المسيح عليه السلام فى الأناجيل التى بين يديك : "إنى أَصْعَدُ إلى أبى وأبيكم وإلهى و إلهكم" (يوحنا ٢٠/ ١٧) يُرادفُ الأولى بالثانية، أى أن أبى وأباكم هو إلهى وإلهكم ، لا يريدُ بالطبع إنى أصعدُ إلى والدى ووالدكم الذى هو إلهى وإلهكم ، وإنما أراد إنى أصعدُ إلى ربِّى وربِّكم الذى هو إلهى وإلهكم ، كلانا مَرْبُوبٌ للهِ عز وجل ، والمَأْبُوُّ آراميا وعبريا يعنى المَرْبُوبُ عربيا . لا تصَحَ " الأب " عربيا بمعنى " الرب " ، وإنما اضطرت الآراميةُ و العبريةُ إلى هذا المجاز لاستنفادهما لفظة "راب" فى معانى أخرى ليس منها " الرب " الإله ، وهى معنى الكبير ، الرئيس ، الإمام ، المُعَلم المُرَبِّى . أما العربية فهى لا تحتاجُ إلى هذا المجاز المُؤْذِنِ بالخَلْطِ والتخليط ، وإنما تقول ربِّى ، حين تريدُ "إلهى" ، وتقول أبِى ، تعنى "والدى الذى ولدنى" . وقد فهم القرآنُ المعجز مُرادَ المسيح من قوله بالآرامية " أبِى وأبوهم " فلم يقُلْ على لسان المسيح "أبى وأبوكم" على الترجمة الببغائية ، وإنما قال عز وجل على لسان عبده ورسوله عيسى بن مريم فى خطاب قومه : { **وأَنَّ اللهَ ربِّى وربُّكم فَاعْبُدوه ، هذا صراطٌ مستقيم** } (مريم : ٣٦) ، أى أن مَرْبُوبِيَّةَ المسيح والبشر جميعا لله عز وجل الواحد الأحد هى الصراطُ المستقيم، لا صراطَ غيره. عليك إذن كلما قرأت فى الأناجيل لفظة " آب " ، " أب " ، حين تُعَرَّفُ بالألف واللام ، أو حين تُضافُ إلى المسيح : " أبى " ـ وأنت تعلم مسيحيا كُنْتَ أو مسلما أن المسيحَ غير ذى أبٍ ـ أن المُرادَ منها هو " الرَّبُّ " ، " ربى " ، فتفهم منها ما أرادَه المسيحُ على وجه القطع واليقين ، لا ما فَهِمَهُ الذين أَلَّهُوا المسيحَ على البُنُوَّة لله عز وجل فى مجمع نيقيه عام ٣٢٥ م فَبَنَوا صَرْحَ مقولتهم فى المسيح على خطأٍ لُغَوِيٍ بيِّن ، لا يَصِحُ من عالمٍ فقيه .

كان عُذْرُ الحواريين الذين كتبوا هذه الأناجيل أو كُتِبَت عنهم باليونانية ، هو ظَنَهُم أن " الأب " تَصِحُّ بمعنى " الرب " فى كل اللغات ، لا فى الآرامية والعبرية وحدَهما ، ووحدَهما فقط ، فكتبوها باليونانية Pater (نظير Father الانجليزية بمعنى الوالد الذى ولد) ، وعن هذه الأناجيل نقلت كل الترجمات . ولكن يشاءُ ربُّك لهذه الكلمة اليونانية الأصل Pater (يعنى الأب) ونظائرها فى كُلِّ اللغات أن تكتسب بمحض الاستعمال على لسان المسيحى فى بقاع الأرض ـ أياً كانت لغتُه ـ كُلَّ معانى القداسة الواجبة لله عز وجل وَحْدَه تَقْرَؤُها فى وجه هذا المسيحى وهو يقرأ فى صلاته :

"أبانا الذى فى السموات" ، فتقطع بأنه لا يريد بها "أبانا الذى وَلَدَنا" ولا "أبا المسيح الذى فى السموات" ، وإنما هو يَمثُلُ أمامكَ فى صلاته رجلاً آرامياً ـ عبرانياً يريد بها ما كان يريده الرجلُ الآرامىُّ ـ العبرانى فى زمن المسيح : الأبُ = الرّب ، لا إلهَ غيره .

وإذا كانت "الأب" تعنى فى حق الله عز وجل آرامياً وعبرياً ـ لسانَ المسيح عليه السلام ولسانَ قومه ـ الرّبُّ الإلٰه فقط لا غير ، لا الأبُ الوالد ، فكيف جاز فهمُها فى المسيح وحده على معنى" أُبُوَّة " الله إياه ؟ كيف يجىء المسيحُ بلفظة الأب فيما ترويه الأناجيل من قوله : " وأما أنت فمتى صُمْتَ فادهن رأسَك واغسل وجهك ، لكى لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذى فى الخَفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء يُجازيك "علانية " (متى ٦ / ١٧ ـ ١٨) فلا يفهم السامع "المَأبُوُ " [١] من لفظة "أبيك" فى هذا الكلام إلا معنى " الرب " ، أما إن سمعها من المسيح يناجى بها ربه : "أيها الآب ، نَجِّنى من هذه الساعة !" (يوحنا ١٢ / ٧) فهذا السامع يفهم منها فى حق المسيح وحده لا الرب ، وإنما الأب الوالد ؟ لم يكن هذا بالطبع هو موقف كتبة الأناجيل اليونانية التى بين يديك ترجماتُها ، وإلاّ لأوقعْتَ كَتَبَتَها فى التناقض ، ولكنه كان موقفَ الذين استعانوا بهذه الأناجيل اليونانية فى تأليه المسيح على " البنوة " لله عز وجل فى مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، بعد رفع المسيح بنحو ثلاثة قرون .

زيدت بألف التعريف على النداء فى آخرها . ومنه أيضا فى الآرامية " أبّا " ، وأصلها " آب " زيدت بألف التعريف الممدودة فى آخرها على النداء ، وضعفت الباء بديلا من تقصير مد الألف البادئة ، فأصبح معناها "أيها الأب !". تجد "أبّا" هذه على لسان المسيح فى الأصول اليونانية (مرقس ٣٦/١٤) فى عبارة o Abba Pater اليونانية : أضاف مرقس Pater اليونانية على التكرار ليترجم "أبّا" الآرامية لقارئه اليونانى . وإن لم يَقُلْها المسيح بالطبع ، الذى اكتفى بـ "أبّا" الآرامية التى لا يفهم غيرَها حواريوه ، لا يحتاجون أن يترجمها لهم المسيح ، ناهيك بأن يترجمها لربّه الذى يناجيه[٢] . ولكن المترجم العربى لم يُرِدْ أن يسقط حرفا مما قاله مرقس فى إنجيله اليونانى ، فترجم عبارة مرقس اليونانية هكذا : "يا أبا الآبُ ! " ، فأعضلت على القارىء العربى . صحيح أن "أبا" عربيا لغةٌ فى "أب" كما يقول المعجم العربى ، ولكن ما الداعى للمجىء بلفظة " الآب " بعدها ؟ أيترجم عربيا بعربى ؟ ألا يخشى على القارىء المتعجل الذى يفوته الشكلُ والنَّقْط أن يفهمها على المنادى المضاف إلى " الآب " ، وكأن المسيح يناجى بها أباً للآب ؟ إن أراد التبرك بلفظ المسيح "أبا" فاستبقاه على آراميته ، لكان يجمل به أن يقول : "أبّا ! أيها الآب !" كما فعل مرقس فى إنجيله اليونانى . أو لَقال على الترجمة : أبّا ! (يعنى أيها الآب !).

---

(٢) مر بك أن " آب " العبرية الآرامية تعنى الأب المعروف ، كما تعنى الفاطر المبدع البارىء . كان المسيح يناجى " ربه " كما ترى . ولكن هكذا كان .